

وَعِي وَثَبَاتٌ

٢٠٢٦

١٩ نيسان

عَلَاقَةُ الثَّبَاتِ بِالنَّصْرِ
فِي الْمَعْرَكَةِ
مِنْ مَنَظَارِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الشيخ د. لبنان حسين الزين



مركزُ بَرائِنِ الدِّرَاسَاتِ وَالبَحْثِ
بِيرُوتِ - بَعلَبَاقِ

مُنَاجَاةٌ

عَلَاقَةُ الثَّبَاتِ بِالنَّصْرِ فِي الْمَعْرَكَةِ مِنْ مُنْظَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
الشيخ د. لبنان حسين الزين

■ الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة ■

©جميع الحقوق محفوظة للمركز

علاقة الثبات بالنصر في المعركة من منظور القرآن الكريم

◀ الشيخ د. لبنان حسين الزين⁽¹⁾

كشف القرآن الكريم عن مجموعة من العوامل المسببة للنصر في المعركة؛ منها: الاستقامة، والثبات عند لقاء العدو، والارتباط بالله، والطاعة لله وللرسول ولأولي الأمر، والاعتصام بحبل الله وتجنّب النزاع والشقاق، والصبر على مشاق المعركة، والحذر من الغرور والرياء والإسراف في الأمر، وإعداد العدة ...

ونظراً لكون الثبات في المعركة عنصراً مقوماً لتحقيق النصر؛ فسوف نتناوله بالبحث القرآني، لجهة علاقته بالنصر في المعركة.

١ - أستاذ متفرغ ورئيس لجنة القرآن والحديث في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية في بيروت، باحث وكاتب في الدراسات الإسلامية والقرآنية، من لبنان.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

١. ضرورة الثبات في المعركة:

كلمة «لقاء» الاستفادة من قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ﴾، يغلب استعمالها في موارد القتال والمعركة. والمراد بالفئة هي الجماعة؛ أي جماعة المقاتلين، وهم الكفار الحريون أو الباغون^(١).
ومعنى «الثبات» في الآية عكس الفرار من العدو، وهو له معنى أشمل من الصبر^(٢). والأمر بالثبات في الآية مطلق، فيفيد مطلق الثبوت أمام العدو، وعدم الفرار منه^(٣).

والثبات في المعركة من لوازم الإيمان الحقيقي؛ حيث إن الخطاب

١ - انظر: عبده؛ رضا، تفسير المنار، ج ١٠، ص ٢١.

٢ - سورة الأنفال، الآية ٤٦.

٣ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ٩، ص ٣٧.

في الآية موجّه إلى المؤمنين، وفي ذلك دلالة على أنّ الثبات في مقابل العدوّ من شروط الإيمان^(١)، بمعنى أنّ ثبات القدم في جميع الميادين الخاصّة بالقتال مع أعداء الحقّ، من العلامات البارزة للإيمان، فالفرار ليس من سمات الإيمان!^(٢)

٢. دور ذكر الله بالثبات في المعركة:

ورد في الآية قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، بالعطف على قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا﴾، وهو واقع موقع جواب الشرط لقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ﴾؛ فيكون المراد بالذكر في الآية هو ذكر الله كثيراً عند مواجهة العدوّ وقتاله، كما أنّ ذيل الآية يؤيد ذلك؛ بالتعليل بالفلاح: ﴿لَعَلَّكُمْ تفلحون﴾.

ونكتة تقييد الذكر بقيد الكثرة ﴿كَثِيرًا﴾، هو إرادة تجديد روح التقوى عند المجاهدين كلّما لاح لهم ما يصرف نفوسهم إلى حبّ الحياة الفانية، والتمتّع بزخارفها، والخواطر النفسانيّة التي يلقيها الشيطان بتسويله. فالمدائمة على

١ - انظر: محسن قراءتي، تفسير النور، ج ٤، ص ٣٤٨.

٢ - انظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٤، ص ٣٤٨.

ذكر الله تجدد روح التقوى كل لحظة في قلوبهم، وتعمل على التقليل من شأن الأهوال والمخاطر التي يتعرض لها المقاتل في ميدان المعركة؛ لأنَّ ظرف القتال والميدان ليس فيه إلا إزهاق النفوس، وسفك الدماء، ونقص الأطراف، وذلك كله يهدد الإنسان بالفناء عمّا يحبه، فذكر الله يعينه على جهاده، والثبت بفكرته بالظفر على عدوّه الذي يهدده بالفناء^(١).

وهذا يشعره بأنّ الله سنداً قوياً لا تستطيع أيّ قدرة في الوجود أن تنقلب عليه في ساحة المعركة، وأنّه إذا قتل فإنّه سينال السعادة الكبرى ويبلغ الشهادة العظمى، وجوار رحمة الله، فذكر الله يبعث على الاطمئنان، والقوّة، والقدرة على الثبات في نفس المقاتل^(٢)، ويزيل من نفسه حب الزوجة والمال، والأولاد، وكلّ ما يضعفه ويزلّزه؛ كما ورد في دعاء أهل الثغور عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأنسهم عند لقاءهم العدوّ ذكر دنياهم الخدّاعة، وامح من قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنّة نصب أعينهم»^(٣).

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ٩، ص ٩٥.

٢ - انظر: الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٥، ص ٤٥.

٣ - الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجّاديّة، دعاء أهل الثغور، ص ١٢٤.

٣. دور إطاعة المجاهدين لأوامر الله والرسول وأولي الأمر

في الثبات:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾؛ أي لا تختلفوا فيما بينكم بما يؤدي إلى إضعاف جبهتكم أمام الأعداء. ويقوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾؛ أي تذهب قوتكم وهيبتكم أمام أعدائكم.

وظاهر سياق الآية وإطلاق الأمر بالإطاعة هو الأمر بإطاعة كل ما صدر عن الله تعالى ورسوله من التكليف والأنظمة المتعلقة بالجهاد والدفاع عن الدين ووجود الإسلام، والمسائل التي لها ارتباط بالمعركة؛ كالابتداء بإتمام الحجّة قبل القتال، وعدم التعرّض للنساء والذراري والأطفال، وغير ذلك من أحكام مرتبطة بموضوع ساحة المعركة.

وكذلك إطاعة الرسول وأولي الأمر في الأوامر المرشدة إلى أسباب الفلاح في القتال وغيره، وفي كل ما يؤمر وينهى عنه من شؤون القتال وغيرها؛ لكونهم يمثلون القيادة العامة؛ ومنها القيادة العسكرية، فطاعة القائد العام هي أساس وقوام النّظام الذي هو ركن من أركان الظفر،

كفيف إذا كان هذا القائد مؤيِّدًا بالوحي والنبوة والتسديد الإلهي^(١).

٤. التنازع والشقاق بين المجاهدين في المعركة وأثره على

الثبات:

التنازع هو الميل إلى شيء ما، فكل واحد من المتنازعين في مسألة يميل إلى غير ما يميل إليه الآخر^(٢)، والآية تنهى المجاهدين المؤمنين عن الاختلاف والتنازع. وقد بين -تعالى- فيها أنّ النزاع يوجب أمرين: أحدهما: حصول الفشل والضعف. والثاني: خسارة الدولة أو الغلبة، فإنّ اختلاف الآراء يخلّ بالوحدة، ويوهن القوة^(٣).

٥. دور الصبر في الثبات:

الثبات أعمّ من الصبر، فالصبر هو ثبات القلب مقابل المكاره بأن لا يضعف، ولا يفزع، ولا يجزع، وبالبدن بأن لا يتكاسل، ولا يتساهل،

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ٩، ص ٩٥.

٢ - انظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج ١٠، ص ٢٤.

٣ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ٩، ص ٩٥.

ولا يزول عن مكانه، ولا يعجل في ما لا يحمد فيه العجل، فالصبر ثبات خاص، فقوله: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ أي الزموا الصبر على ما يصيبكم من مكاره القتال؛ مما يهددكم به العدو^(١).
والمراد من المعية في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، معية النصر والظفر؛ أي أنه -تعالى- الضامن للفوز والنصر للصابرين^(٢).
كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، عقيب أمره بالصبر، وهي بنفسها جملة توكيدية محفزة على الصبر، هو خصوص الأثر البالغ لهذا الاعتقاد على صبر المجاهدين في ساحة القتال.

١ - انظر: محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ٩، ص ٩٤.

٢ - انظر: سيّد قطب: تفسير في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٥١٠.

مركز بَرَاثَة للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

